

الوباء: الأهداف والدروس المستفادة* هكذا كشف الوباء الأسطورة الغربية عن "نهاية التاريخ"

سيرغي لافروف

وزير خارجية روسيا الاتحادية

Source : <https://www.al-binaa.com/archives/250653>

لقد غير الانتشار السريع للفيروس التاجي الجديد الحياة على الكوكب بين عشية وضحاها. كما أصبح اختباراً ساحقاً للعلاقات الدولية، على مستوى الدول منفردة والتحالفات المتعددة الأطراف. وتشمل العواقب الواضحة، الركود الاقتصادي، وأزمة الحوكمة العالمية، ونمو المشاعر الحمائية والانعزالية. لقد حدّ الوباء بشكل كبير من التبادل الإنساني والثقافي والسياحي، وكذلك انعكس على مستوى الاتصال بين البشر. ولكن هذا ليس سوى غيض من فيض

بالطبع، عندما نترك الأزمة وراءنا، وهذا سيحدث بالتأكيد يوماً ما، سنحتاج إلى إجراء تحليل شامل لقدرة العالم على الصمود في وجه مثل هذه التحديات والعثور على استجابات مشتركة لها. ومع ذلك، نعتقد أنه يمكن الآن التوصل إلى بعض الاستنتاجات

الأوبئة واسعة النطاق ليست جديدة في تاريخ البشرية. لقد حدث ذلك من قبل. ولكن ما يجعل الوباء الحالي مختلفاً هو أنه يحدث في زمن انفتاح غير مسبوق بين الناس والبلدان والقارات بأكملها. لقد أدت الإنجازات في مجالات التكنولوجيا والمعلومات والنقل إلى عولمة الناس فكرياً وحتى جسدياً، مما يعني أن غالبية التحديات الجديدة تصبح في نهاية المطاف مشاكلنا المشتركة أو على الأقل تكتسب بعداً دولياً. لقد حذرنا منذ فترة طويلة من خطر الاستهانة بالطبيعة العابرة للحدود للعديد من التهديدات، من الإرهاب إلى الجرائم الإلكترونية. قلنا أيضاً إنه لن يتمكن أي شخص من تجاوز العاصفة في ملاذ آمن، أو الاختباء وراء الخنادق والأسوار، أو محاولة تسوية مشكلات المرء على حساب الآخرين. أثبت تأثير الفيروس هذا بشكل مقنع. الوباء هو أيضاً درس في التواضع: جميع البلدان والشعوب متساوية قبل المأساة، بغض النظر عن الجغرافيا أو الثروة أو الطموحات السياسية. لقد أزلت أزمة الفيروس التاجي كل ما هو اصطناعي ومبدع، مما يلقي ضوءاً ساطعاً على القيمة الدائمة للحياة البشرية

تبين أن الجميع بعيدون عن الاستعداد للسيطرة على الوباء. حتى الآن، عندما كان يجب أن يجمعنا التحدي العالمي ويجبرنا على وضع خلافاتنا جانباً لبعض الوقت على الأقل، يمكننا أن نرى أمثلة سلبية على المواقف المتوحشة. استسلم بعض الناس لإغراء التصرف بأنانية، معتقدين أن كل شخص له فرص النجاة منفرداً. استخدم آخرون الموقف للعب استراتيجية الاحتكار، والدفاع عن مصالحهم الضيقة وتصفية الحسابات مع خصومهم الجيوسياسيين. في هذا الوسط الغني، يسرع الفيروس نمو الاتجاهات السلبية، ويصقل التناقضات والاختلافات، ويعزز التنافس غير الصحي

بعبارة أخرى، فإن العواقب الطبيعية التي لا يمكن تجنبها للوباء يتم استكمالها بالآثار التي من صنع الإنسان بسبب عدم قدرة البشرية، أو بالأحرى جزء معين منها، على التخلي عن عقلية الأصدقاء – العدو حتى عند مواجهة محنة مشتركة. هذا أمر مؤسف، لأنه يتطلب تضامناً غير مسبوق وتجميعاً للجهود والموارد للتغلب على النتائج الموضوعية والواضحة لـ

COVID-19.

علينا أن نعترف بأن الوباء قد كشف عن نقص في الإنسانية في بعض الحالات. يمكن تفسير ذلك من خلال ارتباك الناس في وجه تهديد منتشر. ولكن يبدو أن هذا العجز أعمق وينتج، كما قلت من قبل، عن الأنانية غير القابلة للعلاج في بعض الدول ونخبها الحاكمة. نحن نشهد أنه بدلاً من توحيد الجهود والتطلع إلى التفاهم المتبادل، فإن أولئك الذين اعتادوا على إعلان قيادتهم الأخلاقية وتقاليدهم الديمقراطية الغنية، يتخلون عن قواعد التنميق والقيود الأخلاقية ويبدأون في اتباع قانون الغابة. على سبيل المثال، هناك محاولات لإلقاء اللوم على انتشار العدوى في الصين، أو تكهنات غامضة حول مساعدة روسيا لبعض الدول بناءً على طلب حكوماتها. حتى أنها اتهمت بلادي بطريقة عبثية بمحاولة استخدام المساعدة الإنسانية والطبية "لزيادة نفوذها الجيوسياسي"، أو الحظر المهين – في انتهاك للمعايير الدبلوماسية الأساسية – بشأن مطالبة روسيا بالامتناع عن تقديم المساعدة الطبية والإنسانية بغض النظر عن شدة الحالة. يبدو أن التضامن الأسطوري للصيغة الأوروبية الأطلسية أكثر أهمية من حياة وصحة عشرات الآلاف من الناس

هذا إذا لم يكن تجاهل القضايا الإنسانية والرغبة في استخدام الوباء لمعاينة الحكومات غير المرغوب فيها، هو سبب عزوف بعض الدول الغربية التي تتحدث كثيراً عن ضرورة الالتزام بحقوق الإنسان، عن تجميد القيود الاقتصادية الأحادية ضد البلدان النامية، على الأقل حتى تطبيع الحالة الوبائية العالمية؟ في الواقع، وفقاً لتقييم الأمم المتحدة، فإن مثل هذه العقوبات تحد من قدرة الناس على استخدام حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية وتوقع جهودهم لحماية صحتهم بشكل خطير، وتوجه ضربة إلى الفئات الأكثر ضعفاً.

روسيا تقف بحزم ضد مثل هذه الممارسات اللاإنسانية غير المقبولة خلال الأزمات العالمية. خلال القمة الطارئة لمجموعة العشرين في 26 مارس، أعرب الرئيس فلاديمير بوتين عن مبادرة إنشاء "ممرات خضراء" خالية من الحروب التجارية والعقوبات على عمليات التسليم المتبادل للأدوية والأغذية والمعدات والتكنولوجيات. لقد رحبنا ودعمنا بيان الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس، الذي حث أطراف النزاعات المسلحة الإقليمية على الوقف الفوري للعمليات القتالية وإقرار وقف إطلاق النار. بالطبع، لا ينبغي استخدام أي وقف لإطلاق النار لإعفاء الجماعات الإرهابية، وفق تصنيف مجلس الأمن الدولي، من الملاحقة.

إن محاولات استخدام الوضع الحالي لتقويض المبادئ الأساسية للأمم المتحدة خطيرة للغاية. ويجب أن تظل وكالاتها آليات التنسيق الرئيسية للتعاون المتعدد الأطراف من أجل إيجاد حل فعال للمشاكل المشتركة للبشرية جمعاء. وفي هذا الصدد، يساورنا قلق عميق بشأن خطوات التشهير بمنظمة الصحة العالمية، التي، كما تتفق معظم البلدان، كانت على خط المواجهة في الحرب ضد الفيروس التاجي منذ الأيام الأولى للوباء، ومساعدة جميع البلدان على اتخاذ إجراءات الوضع الوبائي المتغير بسرعة واختيار أفضل طريقة للرد على التهديد. مما لا شك فيه أنه ينبغي لمنظمة الصحة العالمية، مثل أي وكالة أخرى متعددة الأطراف، تحسين نشاطها والتكيف مع الظروف الجديدة. لكن الحل ليس في تدمير المنظمة، ولكن في دعم الحوار البناء لجميع الدول الأعضاء فيها وتطوير استجابات مهنية مشتركة للتحديات الناشئة.

لقد كشف الوباء مرة أخرى الأسطورة الغربية عن "نهاية التاريخ" والتقدم المنتصر لنموذج التنمية الليبرالي للغاية القائم على الفردية والاعتقاد بأن أساليب السوق تقدم حلاً لأي مشكلة. لعب هذا النهج خدعة فذرة على أنصاره. وتبين أن البلدان المكتفية ذاتياً والتي لديها آليات تعبئة راسخة ومصالح وطنية واضحة وقيم متميزة أكثر مقاومة للضغوط. أولئك الذين اختاروا تآكل استقلالهم وتخلوا عن جزء من سيادتهم بتهور، أثبتوا أنهم الخاسرون.

أصبح من الواضح أن الدول التي تدعم مصالحها الوطنية لا تزال اللاعب الرئيسي على المسرح الدولي. هذا لا يستتبع أو يحدّد مسبقاً الحياة في ظروف التنافس والانقسام، ولكنه يشير إلى أنه يجب الجمع بين تنوع إمكاناتنا الفريدة حتى نتمكن من إيجاد حلول فعالة للمشكلات الرئيسية في العالم.

ما نحتاجه الآن هو إطار عمل دبلوماسي عالمي حيث تلعب الأمم المتحدة دور تنسيق مركزي. نأمل أن تساعد الأزمة الوبائية الجارية العالم على رؤية أنه لا يوجد بديل للنظام العالمي المتمحور حول الأمم المتحدة، والذي تم إنشاؤه بعد الحرب العالمية الثانية، وقد اجتاز اختبار الزمن ولا يزال بهامش أمان كبير. المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة هي الأساس الثابت للتواصل الدولي في الظروف الحديثة.

مثل أي كائن حي آخر، تحتاج الأمم المتحدة إلى ضبط منظم وتعديل دقيق ومعايير للواقع متعدد الأقطاب. بالطبع، يجب علينا أيضاً الاستمرار في الاستفادة على أفضل وجه ممكن من إمكانات هيكل الحوكمة العالمية مثل مجموعة العشرين ومنظمة التجارة العالمية.

كما تبشّر الجمعيات والمبادرات والمفاهيم الدولية القائمة على قيم الجماعية والمساواة. هذه الفلسفة ومبدأ احترام الهويات والتقاليد الثقافية والحضارية والوطنية بالإضافة إلى نماذج التنمية التي تكمن وراء تعاوننا داخل دول البريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون، حيث تتولى روسيا الرئاسة الدورية هذا العام. في الأوقات الصعبة التي نمر بها الآن، يعمل الحوار القائم على الاحترام المتبادل بمثابة شبكة أمان ويساعدنا على توجيه جهودنا نحو التعاون البناء.

كما قلت في بداية هذه المقالة، من خلال إصابة الأفراد، فإن الفيروس يؤثر أيضاً على النظام الاقتصادي الجماعي. أصبح تباطؤ الأعمال وتعطيل سلاسل الإنتاج العالمية صدمة حقيقية للاقتصاد العالمي. يجب أن نساعد على المرور بهذه الفترة الصعبة، والعمل بعد ذلك بشكل جماعي لضمان تعافيتها التدريجي بعد الأزمة. وفي الوقت نفسه، يجب أن نمنع هذا الطقس الاقتصادي العاصف من الإضرار بالتعاون الدولي، سواء تفاقم انعدام الثقة أو إثارة جولات جديدة من المواجهة في الشؤون العالمية.

في عالم مثالي، يجب أن يجمعنا هذا الهدف لأن رفاهية الناس في جميع الدول بدون استثناء تعتمد على تحقيقه. يجب أن نعمل معاً لإيجاد نقاط نمو جديدة ستساعدنا في التغلب على الركود المشترك. يدعو هذا المشروع العالمي إلى الجمع بين إمكانات

مشاريع التكامل المختلفة التي يتم تنفيذها في الفضاء الأوراسي الشاسع. هذا هو الهدف من فكرة الرئيس بوتين حول الشراكة EAEU، الأوراسية الكبرى القائمة على القانون الدولي والشفافية والمفتوحة لجميع دول قارتنا الضخمة، بما في ذلك ومنظمة شنغهاي للتعاون، ودول الآسيان. إن التنفيذ التدريجي لهذه المبادرة لن يعزز فقط ترابطنا الاقتصادي الإيجابي ويزيد من القدرة التنافسية لجميع البلدان المشاركة، ولكنه سيعمل أيضاً كمرحلة أولى مهمة في تطوير إقليم السلام والاستقرار من لشبونة إلى جاكارتا

أنا متأكد من أن دول الاتحاد الأوروبي ستستفيد من المشاركة في هذا المشروع أيضاً. من خلال الانضمام إلى هذه الجهود المشتركة، ستتمكن من الحصول على مكان مناسب في عالم متعدد المراكز أكثر عدالة وديمقراطية. يجب على الدول الأوروبية التوقف عن عزل نفسها عن قارتنا المشتركة من خلال البحث عن إرشادات وجودية في أجزاء أخرى من العالم ودعوة الوجود العسكري الأجنبي، الأمر الذي لا يعزز أمنها، ولكنه يحرم الاتحاد الأوروبي من الفرصة ليصبح مركزاً مستقلاً للتأثير الدولي في عالم متعدد الأقطاب. على أي حال، فإن شركاءنا الأوروبيين أحرار في اختيارهم

في أقرب وقت ممكن. ولكن يجب علينا أيضاً استخلاص الدروس COVID-19 بالطبع، يرغب الجميع في الخروج من أزمة من هذه المشكلة العالمية. أما فيما يتعلق باستخلاص الدروس الصحيحة فيعتمد ذلك على كل واحد منا

واجهت روسيا عبر تاريخها الذي يمتد لقرون عديدة العديد من التحديات الخطيرة التي تهدد وجودها. لكنها تغلبت عليها دائماً، لا تظهر أقوى فحسب، بل تقدم أيضاً أمثلة على الإنسانية ونبذ الذات للآخرين

هذا هو السبب في أن روسيا، وهي مركز دولي رئيسي ومصدر وضامن للأمن، ستواصل الدعوة إلى جدول أعمال بناء وموحد وستلعب دوراً متوازناً ومنسقاً في الشؤون الدولية. سنتعاون مع كل من يرغب في العمل معاً على مبادئ الصدق والاحترام المتبادل لمصالح واهتمامات بعضنا البعض. بينما ننتقل من مبدأ الأمن غير القابل للتجزئة بجميع أشكاله، فنحن مستعدون دائماً لتقديم يد العون للدول الأخرى بغض النظر عن سياسات حكوماتها

حان الوقت الآن للتخلي عن عقلية القصور الذاتي القائمة على الصور النمطية القديمة، والبدء، أخيراً، في التصرف من المواقف الأخلاقية، لأن مستقبلاً آمناً لجميع الناس على الأرض، بيتنا المشترك، معلق في الميزان

“مقالة حول العالم وسط جائحة الفيروسات التاجية “كورونا*“

نشرت في صحيفة “غلوبال تايمز” الصينية

موسكو - 28 مايو 2020